اجدى وأسرع في تحقيق النتائج؛ وهذا بالطبع اذا توفّرت له الشروط الملائمة، والبيئة الملائمة، وكانت ضرباته موجعة بالنسبة الى الخصم. غير انه لا يمكن القطع في المدة الزمنية المطلوبة، والتي يمكن القول عندها ان العنف قد حقق نتائجه بسرعة. بكلمات أخرى، قد يكون معارضو المقاومة المدنية محقين في ان العنف اجدى وأسرع في تحقيق النتائج؛ لكنهم لم يحدّدوا مقياساً، أو معياراً زمنياً، لهذه السرعة، والجدوى، وهم لا يستطيعون ذلك. وعلى سبيل المثال، لقد مضى على بدء الثورة الفلسطينية المسلّحة المعاصرة أكثر من ربع قرن من الزمن، فهل كانت هذه الفترة كافية لتحقيق اهداف الشعب الفلسطيني؟ ام ان النضال الفلسطيني قد امتد، زمنياً، الى أكثر ممّا ينبغي؟ سؤالان تصعب الاجابة عنهما. فربما تكون النتائج التي تحققت في نظر البعض متناسبة تماماً مع المدة المنقضية والتضحيات التي بذلت؛ وربما يكون العكس صحيحاً أيضاً، من وجهة نظر آخرين. وعلى ذلك، فان التحدث عن المدة الزمنية المطلوبة لتحقيق أهداف حركة التحرر هي من الامور التجريدية القابلة للجدل والنقاش. وقد يقيس البعض مسار العنف الفلسطيني بما حدث مع الثورة الجزائرية المسلّحة، التي استطاعت تحقيق اهدافها كاملة خلال ثمانية أعوام. وهنا يبدو الكفاح المسلّح الفلسطيني كأنه قد أخفق، مقارنة بالحالة الجزائرية! فهل هذا التقويم صحيح، أم كان للثورة الجزائرية متغيراتها وثوابتها وظروفها المختلفة، ممّا يستدعي الحذر من المقارنة بين التجربتين، الفلسطينية والجزائرية؟

وفي ما يتعلق بأهمية العنف في جذب الرأي العام العالمي، فان سلوك الانتفاضة حقق الشيء ذاته، انْ لم يكن بصورة مكثّفة وبدرجة أكبر. وبحسب النظرية، فان انماط المقاومة المدنية تخاطب الرأي العام في القوى الخارجية. واذا كان العنف الفلسطيني ساهم في الاعلام عن وجود الشعب الفلسطيني وأحياء قضيته في المجتمع الدولي، واستقطب حولها الاهتمام على صعد مختلفة، ناقلاً اياها من مجرد مسألة لاجئين يمكن تناولها من خلال جهود انسانية، الى مسألة سياسية بكل ما يتضمّن ذلك من معنى؛ اذا كان العنف قد حقق ذلك كله، فان الانتفاضة لم تكن بأقل شأناً، في فاعليتها بأي حال. ففي اجوائها، اتخذت القيادة الفلسطينية أقوى خطواتها باعلان قيام دولة فلسطين، وتخلّى بعض القوى المؤثرة في مسار القضية عن مواقف تقليدية له، ومن ذلك الولايات المتحدة الاميركية التي كسرت قرار مقاطعة منظمة التحرير الفلسطينية وأخذت تتحاور معها. كذلك، أطلقت الانتفاضة الألسن وفتحت العيون في كثير من الساحات التي كانت تقف تقليدياً الى جانب اسرائيل.

ان تقدير فعالية الانتفاضة يتمّ بشكل موضوعي اذا ما أخذت نقطة البداية التي انطلقت منها الانتفاضة في الاعتبار، حيث كانت القضية الفلسطينية تعاني من حالة ركود نسبي، وسط أجواء عربية، ودولية، غير مناسبة، خشي البعض عندها من دخول القضية حالة من التجمّد والسير نحو المجهول[٣٥]. بل واعتبر البعض ان الانتفاضة ذاتها مثّلت رد فعل على هذا الواقع؛ هذا جميعه يستدعي تقويم الانتفاضة، وفعاليتها، كشكل نضالي، في ا طار ايجابي.

٤ ـ العنف ضروري لتعزيز الكرامة الوطنية

رأى معارضو المقاومة المدنية ان سنوات الاستعمار الغربي تركت آثاراً مدمرة في النشء العربي، وزعزعت لديه ارادة المقاومة. ولذا، فان الكفاح المسلّح هو، وحده، الكفيل بكسر هذه الحلقة، لأنه يزرع الايمان بالقدرة على المنافسة ومقارعة الاقوياء. ولا يخرج الاستعمار الاسرائيلي عن كونه احد نماذج الاستعمار الغربي الذي تنطبق عليه المقولات السابقة. وهكذا، فان الكفاح المسلّح هو سبيل الفلسطينيين الوحيد الى انهاء اسطورة اسرائيل التي لا تقهر.